

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثالثة والثمانون

أحمد بن حنبل (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الشباب، إنه الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) .

لقد بذل الإمام أحمد (رحمه الله) نفسه في طلب العلم والبحث عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن موسى بن هارون سمعت ابن راهويه يقول لما خرج أحمد إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يأخذ .

فكان رحمه الله عفيف النفس ، لا يقبل من أحد عطاءً ، فرمما احتاج المال اقترض ، قال عبد الله بن أحمد حدثني إسماعيل بن أبي الحارث قال مر بنا أحمد فقلنا لإنسان اتبعه وانظر أين يذهب فقال جاء إلى حَنَّكِ المَرْوَزِي فما كان إلا ساعة حتى خرج فقلت لحنك بعد جاءك أبو عبد الله قال هو صديق لي واستقرض مني مئتي درهم فجاءني بها فقلت ما نويت أخذها فقال وأنا ما نويت إلا أن أردّها إليك .

ومع ما بلغ الإمام أحمد (رحمه الله) من الخير فإنه كان شديد التواضع ولا يفتخر بشيء من ذلك الخير على أحد ، قال يحيى بن معين ما رأيت مثل أحمد صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير .

هذه سيما الصالحين وعلامة المتقين ، فإنهم يعرفون أن ما بهم من الخير فمن الله سبحانه وتعالى وحده ، فلا يفتخرون به على أحد ، بل يحمدون الله ويشكرونه على هذا الخير .

فكيف بشبابنا في هذا الزمان الذين ربما افتخر أحدهم على أقرانه بشيء قد لا يكون في الأصل مما يفتخر به ، فرمى افتخر أحدهم على غيره بقوة عضلاته أو جودة حركاته ، أو افتخر بكثرة ماله أو جودة سيارته ونحو ذلك ، فهذه أمور لا تستحق الافتخار بها ، فليعلم الشباب أن الذي وهبهم هذه النعم وأمثالها قادر على سلبها منهم في أي وقت ، وأن الذي أعطاهم ذلك قد أعطى غيرهم ما يفوقها . فليتواضعوا لله وليشكروه على نعمه ، فإنه سبحانه قد وعد الشاكر بالزيادة ، فقد قال سبحانه : { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، ومع صور جميلة أخرى من حياة الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) ، قال عبد الله بن أحمد كان أبي يقرأ كل يوم سبعا وكان ينام نومه خفيفة بعد العشاء ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو .

هكذا كان الرجال يوزعون أوقاتهم التوزيع المناسب ، ويغتنموها في طاعة الله سبحانه وتعالى ، فكان وقت الإمام (رحمه الله) مقسماً بين القراءة والصلاة والدعاء ، وغير ذلك من العبادات ، وكان يستعين على ذلك بيسير النوم ، ولم يكن في وقت الإمام شيء للهو أو اللعب ونحوه .

فإلى شبابنا أسوق هذا النموذج الرائع في حفظ الوقت ، فأين أولئك الشباب الذين تمضي أوقاتهم بين اللهو واللعب ، والسهر والطرب ، وكذا الذهاب والإياب ، والقليل والقال .

أخي الشاب ، إن وقتك هو حياتك ، فإذا مضى جزء من وقتك من غير فائدة ، فقد أهدرت جزءاً من عمرك ، واعلم أنك إنما خلقت لعبادة الله وحده القائل : { وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون } فهذا هو الهدف الأساسي من وجودك في هذه الحياة ، فسخر وقتك وجهدك لتحقيق هذا الهدف .

ولا يعني ذلك أنك لا تعمل أو لا تروح عن نفسك ، ليس الأمر كذلك ، فإن العمل مطلوب منك لتكسب رزقك وتستقيم عبادتك ، والترويح الحسن منشط لنفسك ، ومزيل عنك التعب والملل ، فالمهم أن لا يخرج عملك أو ترويحك عن إطار ذلك الهدف الأساسي الذي خلقت من أجله .

وعودة مرة أخرى إلى سيرة صاحبنا في هذه الحلقة ، فلقد كان الإمام أحمد (رحمه الله) مع شدة ورعه وتقواه يخشى على نفسه ، ويذكر الموت ويكي (رحمه الله) ، قال صالح كان أبي اذا دعا له رجل قال ليس يحرز الرجل المؤمن الا حفرة الاعمال بخواتيمها.

قال المروزي كان أبو عبد الله اذا ذكر الموت خنقته العبرة وكان يقول الخوف يمنعني اكل الطعام والشراب واذا ذكرت الموت هان علي كل امر الدنيا انما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وانها ايام قلائل ما اعدل بالفقر شيئا ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر .

أيها المستعون الكرام ، معشر الشباب ، إن ذكر الموت دواء للنفس ، وكبح جماحها ، وقد أوصى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بالإكثار من ذكر الموت حين قال : (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ) .

وليعلم الشباب أن الموت ليس مقصوراً على الشيوخ ، بل إن من يموت من الشباب أكثر ممن يموت من الشيوخ .

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ولو تنعت بالحجاب والحرس

واعلم بأن سهام الموت نافذة في كل مدرع منها ومترس

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوب جسمك محفوظ من الدنس

ترجو النجاة ولا تسك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .